

الباب السابع

في ذكر قعر جهنم وعمقها

١ - (٥٠) عن خالد بن عمير قال : خطبنا عتبة بن غزوان فقال : إنه ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يُدرك لها قعرًا ، والله لنملأئه ، أفعجبتم ؟ ^(١) خرج هكذا مسلم موقوفًا ، وخرجه الإمام أحمد موقوفًا ومرفوعًا ، والموقوف أصح .

٢ - (٥١) وخرج الترمذي من حديث الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا - يعني منبر البصرة - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقي من شفير جهنم فتَهوي [فيها] سبعين عامًا وما تفضي إلى قعرها » ^(٢) قال : وكان عمر يقول : أكثروا ذكر النار ، فإن حرها شديد ، وإن قعرها بعيد ، وإن مقامها حديد . ثم قال : لا يعرف للحسن سماع من عتبة بن غزوان .

٣ - (٥٢) وخرج مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومًا فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أتدرون ما هذا ؟ » . فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفًا ، فالآن انتهى إلى قعرها » ^(٣) .

وخرج أيضًا عن أبي هريرة قال : والذي نفس أبي هريرة بيده ، إن قعر جهنم

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الزهد ٤/٢٢٧٨ (٢٩٦٧) ، والإمام أحمد في المسند ٤/١٧٤ .

(٢) ما بين القوسين من سنن الترمذي .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة قعر جهنم ٤٥/١٠ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وعنده « .. وما تفضي إلى قرارها » . وقال الترمذي : « لا نعرف للحسن سماعًا من عتبة بن غزوان » ا.هـ .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ، وبعد قعرها ٤/٢١٨٤

(٢٨٤٤) وعنده « .. هذا حجر رُمى به في النار منذ سبعين خريفًا . فهو يهوى في النار الآن ، حتى

انتهى إلى قعرها » . « وجبة » : أي سقطه ا.هـ .

لسبعين خريقاً^(١) .

٤ - (٥٣) خرج الحاكم من حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو أخذ سبع خلفات بشحومهن ، فألقين من سفير جهنم ما انتهين إلى آخرها سبعين عاماً »^(٢) .

٥ - (٥٤) وخرج البزار والطبراني من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الحجر ليزن سبع خلفات ، يرمي به في جهنم فيهوي سبعين خريقاً وما يبلغ قعرها »^(٣) .

٦ - (٥٥) وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو أن حجراً قذف به في جهنم لهوى سبعين خريقاً قبل أن يبلغ قعرها »^(٤) .

وقد سبق من حديث أنس وأبي سعيد معنى حديث أبي هريرة في سماع الهدية^(٥) .

٧ - (٥٦) وقال ابن المبارك : أنبأنا يونس عن الزهري قال : بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « والذي نفسي بيده إن ما بين شفة النار وقعرها ، كصخرة زنة سبعة خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن ، تهوي من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريقاً »^(٦) .

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٨٧ (٩٥) وعنده « .. لسبعون خريقاً » .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤/٦٠٦ . وسكت عنه . وقال الذهبي : « سنده صالح » ا.هـ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢/٢١ (١١٥٨) ، وفي الأوسط ٥/٣٣٠ (٥٤٥٩) ، والبزار - من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه - كما فى المجمع ١٠/٣٨٩ . والترغيب ٤/٤٧١ (٤٣) . وفيه : محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف - كما فى الكامل ٦/١٢٨ (١٦٣١) .

(٤) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ١٦/٥٠٩ (٧٤٦٨) . ورجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب اختلط فى آخر عمره ، ورواية جرير عنه بعد الاختلاط ا.هـ . انظر : تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : للمزى ١٣/٥٧ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(٥) سبق تخريجهما ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٦) الزهد لابن المبارك (زيادات) ص ٨٦ (٣٠١) ، والطبراني فى الكبير ٢٠/١٦٩ (٣٦١) . وقال الميثمي فى المجمع ١٠/٣٨٩ : « رواه الطبراني وفيه راو لم يسم ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح » ا.هـ . وقد أخرجه الحاكم فى المستدرک ٤/٥٩٧ من حديث أبي هريرة ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ا.هـ . ووافقه الذهبي .

قال ابن المبارك : وإن هشيماً قال : أخبرني زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال : سمعت أبا أمامة يقول : إن ما بين شفير جهنم مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي أو صخرة تهوي عظمها لعظم عشر عشروات عظام سمان ، فقال له رجل : هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة ؟ قال : نعم غي وآثام ^(١) .

٨ - (٥٧) وقد روى هذا [مرفوعاً] ^(٢) بإسناد فيه ضعف - من طريق لقمان بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وزاد فيه - قلت : وما غي وما آثام ؟ قال : « بئر يسيل فيهما صديد أهل النار » وهما اللتان ذكرهما الله تعالى في كتابه : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مریم: ٥٩] ﴿ يَلْقَى أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨] ^(٣) . والموقوف أصح .

وقد روي من وجه آخر قال حريز بن عثمان : حدثني عبد الرحمن ابن مسرة الحضرمي عن أبي أمامة أنه كان يقول : إن جهنم ما بين شفيتها إلى قعرها سبعون ، أو قال : خمسون خريفاً للحجر المتردي ، والحجر مثل سبع خلفات مملوءة شحماً ولحماً . خرجه الجوزجاني .

٩ - (٥٨) وروى مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من حاكم يحكم بين الناس إلا يجبس يوم القيامة وملك أخذ بقفاه حتى يقفه على جهنم ، ثم يرفع رأسه إلى الله - عز وجل - فإن قال له : ألقه ألقاه في مهوى أربعين خريفاً » ^(٤) . خرجه الإمام أحمد .

(١) الزهد لابن المبارك (زيادات) ص ٨٦ (٣٠٢) . وعنده : أنا هشيم بن بشير ، وأيضاً : كشعر عشرات ، بدلا من : لعظم عشر . وأورده الهيثمي بمعناه - مرفوعاً - كما في الهامش التالي .

(٢) ما بين القوسين من نسخة الفاروق .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠٦/٨ (٧٧٣١) عن لقمان بن عامر قال : جئت أبا أمامة الباهلي فقلت : حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن صخرة وزنت عشر حلقات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهي إلى غي وآثام » قيل : وما غي وآثام ؟ قال : « نيران في أسفل جهنم يسيل منها صديد أهل النار وهما اللذان ذكرهما الله في كتابه ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ » وقال الهيثمي في المجمع ٣٨٩/١٠ : « رواه الطبراني وفيه ضعف وقد وثقهم ابن حبان وقال : يخطئون » ا.هـ. وفي المجمع : « .. بثران في جهنم .. » .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٣٠/١ . وعنده « ما من حكم ... » وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو - كما في التقریب ٢٢٩/٢ (٩١٩) - ليس بالقوى ، وقد تغير في آخر عمره ا.هـ.

١٠ - (٥٩) وروى عبد الله ^(١) بن الوليد الوصافي ، حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال [أبو ذر لعمر : سمعت] ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يجاء بالوالي يوم القيامة فينبد به على جسر جهنم ، فيرتج ذلك الجسر به ارتجاجة لا يبقي منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فإن كان مطيعاً لله في عمله مضوا به ، وإن كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر ، فيهوي في جهنم مقدار خمسين عاماً » فقال له عمر : من يطلب العمل بعد هذا ؟ قال أبو ذر : من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب ، فجاء أبو الدرداء فقال له عمر : يا أبا الدرداء ، هل سمعت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً حدثني به أبو ذر ؟ قال : فأخبره أبو ذر ، فقال : نعم ، ومع الخمسين خمسون عاماً يهوي به إلى النار ^(٣) . الوصافي لا يحفظ الحديث ، كان شيخاً صالحاً - رحمه الله .

١١ - (..) وروى سويد بن عبد العزيز - وفيه ضعف شديد - عن سيار عن أبي وائل أن أبا ذر قال لعمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فذكر معناه وفي حديثه : « وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى في قعرها سبعين خريفاً » ^(٤) .

(١) الصواب : عبيد الله . كما في التقريب .

(٢) ما بين القوسين مثبت في نسخة الفاروق .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في : الأحوال ١/٢٤٩ (٢٤٠) . * وعبيد الله الوصافي - كما في التقريب ١/٥٤٠ (١٥١٩) - ضعيف .

(٤) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير ٢/٣٩ (١٢١٩) ولفظه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر بن عاصم على صدقات هوازن ، فتخلف بشر فلقبه عمر ، فقال : ما خلفك ؟ أما لنا عليك سمع وطاعة ؟ قال : بلى . ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولي شيئاً من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يو - على جسر جهنم فإن كان محسناً تجاوز ، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفاً » قال : فخرج عمر رضي الله عنه كئيباً حزينا فلقبه أبو ذر فقال : ما لي أراك كئيباً حزينا ؟ قال : ما يمنعني أن أكون كئيباً حزينا وقد سمعت بشر ابن عاصم يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولي شيئاً من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم ، فإن كان محسناً تجاوز وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفاً » قال أبو ذر : وما سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، قال : أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولي أحدًا من الناس أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم ، فإن كان محسناً تجاوز ، وإن كان سيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفاً وهي سوداء مظلمة » . فأبي الحديثين أوجع لقلبك ؟ قال : كلاهما قد أوجع قلبي ، فمن يأخذها بما فيها ؟ وقال أبو ذر : من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض ، أما إنا لا نعلم إلا خيراً وعسى إن وليتها من لا يعدل فيها أن لا تنجو من إثمها . وقال الهيثمي في المجمع ٥/٢٠٦ : « وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك » ١ . هـ .

١٢ - (..) وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال : أخبرني يزيد بن جابر ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، أن أبا ذر وسلمان قالوا لعمر : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فذكره بمعناه ، وقال : « هوى به في النار سبعين خريفًا » (١) .

١٣ - (٦٠) وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزَلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » (٢) .

١٤ - (٦١) وخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها في النار سبعين خريفًا » (٣) .

وخرج البزار نحوه من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٤) .
وفي تفسير ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] قال : ذكر أن اليهود وجدوا في

(١) أورده أبو نعيم في : الخلية ٦/١٣٨ . وأوله : « ما من وال يلي من أمور الناس شيئًا إلا أتى به يوم القيامة .. » ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ٨/١٢٥ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ٤/٢٢٩٠ (٢٩٨٨) .

« ما يتبين فيها » : معناه لا يتدبرها ويتفكر في قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها . وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة . وكالكلمة بقذف . أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك ا.هـ.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة يُضحك بها الناس ٩/١٩٥ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » ا.هـ ، وابن ماجه في السنن ، كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة ٢/١٣١٣ (٣٩٧٠) وفي الزوائد : « في إسناد محمد بن إسحاق ، وهو مدلس » ا.هـ ، والإمام أحمد في المسند ٢/٢٣٦ .

(٤) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يهوى بها في النار كذا وكذا خريفًا » . أورده الهيثمي في المجمع ١٠/٢٩٧ وقال : « رواه البزار وفيه من لم أعرفهم » ا.هـ .

التوراة مكتوباً أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ثابتة في أصل الجحيم . وكان ابن عباس يقول : إن الجحيم سقر ، وفيها شجرة الزقوم ، فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة ، وإنما يعني بذلك السير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم فقالوا : إذا خلا العدد انقضى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك ، فذلك قوله : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ يعنون بذلك الأجل ، فقال ابن عباس : لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة ، وهي أربعون سنة ، فلما أكلوا من شجرة الزقوم وملؤوا البطون آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزنة سقر : زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياماً معدودة ، وقد خلا العدد وأنتم في الأبد ، فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون (١) .

ففي هذه الرواية عن ابن عباس أن قعر جهنم ومسافة عمقها أربعون عاماً ، وأن ذلك هو معنى ما في التوراة ، ولكن اليهود حرفوه فجعلوه مسافة ما بين طرفيها ، وزعموا أنه إذا انقضت هذه المدة أن جهنم تحرب وتهلك ، فإن ذلك من كذبهم على الله وتحريفهم التوراة .



(١) ابن جرير في تفسيره ١/٣٨١ .

فصل

سعة جهنم طولاً وعرضاً

وأما سعة جهنم طولاً وعرضاً :

١٥ - (٦٢) فروى مجاهد عن ابن عباس قال : أتدرون ما سعة جهنم ؟ قلنا : لا ، قال : أجل والله ما تدرون أن ما بين شحمة أذن أحدهم وأنفه ^(١) مسيرة سبعين خريفاً تجري فيه أودية القيح والدم ، قلنا : أنهار ؟ قال : لا ، بل أودية . ثم قال : أتدرون ما سعة جهنم ؟ قلنا : لا ، قال : حدثني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] فأين الناس يومئذ ؟ قال : « على جسر جهنم » ^(٢) . خرجه الإمام أحمد ، وخرج النسائي والترمذي منه المرفوع وصححه الترمذي وخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(١) في المسند : وبين عاتقه .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب التفسير (سورة الزمر) ١٢ / ١٢١ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » . ١. هـ ، والنسائي في : السنن الكبرى ٦ / ٤٤٧ (١١٤٥٣) دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م . تحقيق د/ عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروى حسن ، والإمام أحمد في المسند ٦ / ١١٧ ، والحاكم في المستدرک ٢ / ٤٣٦ وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ١. هـ . ووافقه الذهبي .